﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٤٩﴾

[الأنعام: 49]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

كما أنَّ للمُصدِّق ثـوابًـا، فـإنَّ للمكذِّب عقابًا

لَمّا ذكرَ ثوابَ المُصدِّقِ في الآية السّابقةِ، أعقبَه بذكرِ عقابِ المُكذِّبِ في قولِه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَمَسُّهُمُ﴾: (مَسَّ) أَصْلٌ يدلُّ عَلَى جَسِّ الشَّيءِ باليدِ[2]، والمسُّ: مباشرةُ الجسم[3]، وهو التقاءُ الشَّيئَيْن من غير فصلٍ، ﴿يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾، لأنَّه يحلُّ فيهم، وكأنَّه مماسٌّ لهم[4]، أي: يُباشرُهم، ويلصقُ بهم[5].

2) ﴿يَفۡسُقُونَ﴾: (فسق) الفِسقُ: الخروجُ عنِ الطاعة[6]، تقول العرب: فَسَقَتِ الرّطبةُ؛ إذا خرجت عن قِشْرها، وفَسَقَ الرّجلُ، أي: فَجَرَ، وخرج عن أمر ربِّه[7]، أي: خرج عنِ الحدِّ في كفرانِه وعِصيانِه[8].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

جـــزاءُ مـن يـكـفـرُ بـآيـات اللـهِ مصاحبةُ العذابِ الشَّديدِ

يُخْبرُ اللّه تعالى عن جزاءِ من لم يُؤمنْ، أي: الذين كذَّبوا بآياتنا التي أرسَلْنا بها الرُّسلَ يُصيبُهم العذابُ، ويلاصقُهم، في الدُّنيا أحيانًا عند الجُحودِ والعنادِ، وفي الآخرة على سبيل الدّوامِ

(1) الواحدي، البسيط: 8/151.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مسّ)، وابن منظور، لسان العرب: (مسس).
(3) السّمين، عمدة الحفّاظ: (مسس).
(4) الواحدي، البسيط: 8/151.
(5) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/293.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فسق).
(7) الجوهري، الصحاح: (فسق).
(8) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/293.

والاطِّرادِ، جزاءَ كفرِهم وإفسادِهم، وخروجِهم عن أمرِ اللّه وطاعتِه، وارتكابِهم مَناهيَه ومَحارمَه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ الوصلِ في الآيةِ:

الـوصـلُ إتـمـامُ مقابلةِ كلِّ حالٍ بجزائِهِ

(الواو) عاطفةٌ، عَطفت قولَه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾ على قولِه: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ﴾، ويكونُ ذلك من باب ذكرِ المُكذِّبين والجزاءِ المُعدِّ لهم بعد الجزاءِ المَعَدِّ للمؤمنين، فالوصلُ لإتمام مقابلة الحالين بجزاءَيْهما، وإظهارِ نعمة مجازاة المؤمنين.

إيثارُ التَّعبيرِ عنِ المكذِّبين بالاسمِ الموصولِ:

حـقَّـقَ الـبـيـانُ القرآنيُّ صفةَ ذمِّ المكذِّبين، وبيَّن سببَ الحكمِ، واستحقاقَهم له

في قولِه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ عَبَّرَ عنِ المكذِّبين بالاسمِ الموصولِ، دونَ الوصفِ، فلم يقلْ: (والمكذّبون يمسُّهم)؛ للدَّلالةِ على صفةِ ذمِّهم وبيانِ العلَّةِ في جزائِهم، واستحقاقِهم لهذا الذمِّ، فضلًا عمّا في الموصول من دلالة العُموم.

نكتةُ إضافةِ الآياتِ إلى ضميرِ الجمعِ:

تـعـظـيـمُ آيـاتِ اللهِ أمرٌ عقديٌّ

في إضافة الآياتِ إلى ضمير المُعَظِّم نفسَه ﷻ في قولِه تعالى: ﴿بِـَٔايَـٰتِنَا﴾؛ إشارةٌ إلى أنَّ ما ينطِقُ به الرُّسلُ - ﷺ - عند التَّبشيرِ والإنذارِ هو آياتُه تعالى، وفيهِ منَ التَّرغيبِ في الإيمان به والتَّحذيرِ من تكذيبِه ما لا يخفَى[2].

وجْهُ التَّعبيرِ بالفعلِ الماضي المضعَّفِ ﴿كَذَّبُواْ﴾:

الـقـصـدُ إلى المبالغةِ في تأكيدِ كذِبِ المكذِّبينَ

عبَّرَ بالفعلِ الماضي دونَ المضارعِ؛ للدَّلالةِ على تحقُّقِ وقوعِ الكذبِ، وأنَّهم بالغوا في التَّكذيبِ بآياتِ اللّهِ التي أنزلَها اللّه على رُسلِه، وأنَّ ذلك التَّكذيبَ لم يكنْ جهلاً منهم، بل كان عمْدًا، يؤكِّد ذلك التَّضعيفُ في الفعلِ ﴿كَذَّبُواْ﴾.

(1) المراغي، تفسير المراغي: 7/128.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/136.

إيثارُ التَّعبيرِ عنِ العذابِ بالمسِّ دونَ غيرِه:

لـسُـوءِ صنيعِ المكذِّبين جُعِلَ العـذابُ طالبًا لهم

عبَّرَ سبحانه عن عذابِهم بـ﴿يَمَسُّهُمُ﴾، فجعلَ العذابَ هو الطّالبَ أن يصلَ إليهم، فكأنَّه حيٌّ مُريدٌ، قريبٌ منهم يفعلُ بهم ما يشاءُ مِنَ الآلام[1]، ولأنَّ موضعَ الإحساسِ بالألم هو الجِلدُ، فمسُّه بالعذاب هو الإيلامُ الشَّديدُ[2].

فائدةُ التَّعبيرِ عنِ المسِّ بالفعلِ المضارعِ:

من صُوَرِ إرعابِ المكذِّبين أنَّ عذابَهم دائمُ التَّجدُّدِ

عبَّرَ عن عذابِهم بالفعلِ المضارعِ ﴿يَمَسُّهُمُ﴾؛ دلالةً على تجدُّدِ ذلك العذابِ واستمرارِه، فقولُه تعالى: ﴿يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ أي: الدّائمُ المُتجدِّدُ المستمرُّ[3]، بحيث إنَّه لا ينقطعُ، تصويرًا لمشهد المسِّ تهويلًا وتخويفًا للسّامعين.

بلاغةُ الاستعارةِ في إسنادِ المسِّ إلى العذابِ:

المسُّ من خواصِّ الأحياءِ، وأُسنِدَ إلى العـذابِ تصويرًا لشدَّتِه

وفي جَعْلِ العذابِ ماسًّا إيذانٌ بتنزيلِه منزلةَ الحيِّ الفاعلِ لما يريدُ، ففيه استعارةٌ مكنيةٌ[4]، أو هي استعارةٌ تصريحيَّةٌ تبعيَّةٌ؛ إذ شبَّهَ العذابَ بكائن حيٍّ يفعلُ بهم ما يريده من الآلام؛ لأنَّ المسَّ من خواصِّ الأحياء[5]، وذلك أوقعُ في النفس تمثُّلًا لإيلامه وشدَّته.

دَلالةُ الباءِ في قولِه جلَّ شأنُه: ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾:

إيقـاعُ العـذابِ مِن عدالةِ اللهِ تعالى معَ خَلْقِه

الباءُ في قولِه ﷻ: ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾؛ لبيان سببِ عذابِهم، فهمُ استحقّوا العذابَ "بسبب فسقِهم وخروجِهم عن طاعة الله تعالى بالكفر"[6]، ليبيِّنَ أنَّهم نالوا ذلك بفعْلِهم، وليس حُكمًا منَ الله تعالى، فإنَّه لا يظلمُ أحدًا مثقالَ ذرَّةٍ.

(1) الزمخشري، الكشاف: 2/25، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/517، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 2/163، والبقاعي، نظم الدرر: 7/121.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2507.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 7/121.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 7/154.
(5) محمد عفيف، الشامل في بلاغة القرآن: 1/342.
(6) النسفي، مدارك التنزيل: 1/505، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/136.

سرُّ تقييدِ العذابِ بالفِسقِ:

الفِسقُ الموجبُ العـذابَ هو المقترِنُ بالكفرِ

قيَّدَ العذابَ بالفسق في قولِه جلَّ شأنُه: ﴿يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّه ليس كلُّ فِسقٍ موجِبًا العذابَ، بل الفسقُ مع الكفر؛ لأنَّ ظاهرَ الآية يُشعرُ أنَّه تعالى علَّلَ عذابَ الكفّار بكونِهم فاسقين، وهذا يقتضي أن يكون كلُّ فاسقٍ كذلك، لكنَّ هذا مُعارَضٌ بأنَّه خصَّ الذين كذَّبوا بآيات الله بهذا الوعيد، وهذا يدلُّ على أنَّ من لم يكن مُكذِّبًا بآيات الله تعالى لا يلحقُه الوعيدُ أصلًا[1]، فالعذابُ للكافرين بسببِ فسْقِهم الذي أدَّى بهم إلى الكفر، وليس لكلِّ فاسقٍ.

نكتةُ التَّعبيرِ بالفِسقِ دونَ التَّكذيبِ:

القـصـدُ إلى التَّعميمِ برفعِ الأنـواعِ إلى جنسِ الفِسقِ مبالغةً في الذَّمِّ

آثرَ القرآنُ التَّعبيرَ بالفِسقِ دونَ التكذيب؛ لأنَّ الفسقَ معناه الخروجُ، فهو أعمُّ منَ التَّكذيب؛ لأنَّه نوعٌ من أنواعه، فالفسقُ يشملُ الكفرَ والشِّركَ والتَّكذيبَ؛ لذلك كان التَّعبيرُ مُشيرًا إلى أنَّهم جمعوا كلَّ هذه الأنواعِ.

فائدةُ التَّعبيرِ بالفعلِ (كانوا):

الإتيانُ بما يدلُّ عـلى تـثـبـيـتِ الفِسقِ والدَّوامِ عـلـيـه؛ تـعـلـيـلًا لاسـتـحـقـاقِ العذابِ

آثرَ القرآنُ الكريمُ الإتيانَ بالفعلِ ﴿كَانُواْ﴾ في قولِه جلَّ شأنُه: ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾، ولم يقلْ: (بما يفسقون)؛ لأنَّ الإتيانَ بِهِ يفيدُ الدَّلالةَ على الاستمرارِ؛ "لأنَّ (كان) إذا لم يُقصَدْ بها انقضاءُ خبرِها فيما مضى دلَّتْ على استمرارِ الخبرِ بالقرينةِ، كقولِه تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾"[2].

توجيهُ مجيءِ خبرِ (كان) جملةً مضارعيَّةً:

من رحمةِ اللهِ تعالى مقابلةُ تجدُّدِ الفِسقِ بحِلْمِهِ سبحانه

جيءَ بخبرِ (كان) جملةً مضارعيَّةً؛ للإشارةِ إلى أنَّ فِسْقَهم كان مستمرًّا متجدِّدًا مُتكرِّرًا[3]، وفيه إشارةٌ إلى حِلْمِ الله عليهم؛

(1) الرازي، مفاتيح الغيب: 12/537.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/239.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/136، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/239.

فلم يأخذْهم بالعذابِ من أوَّلِ مرَّة، بل حذَّرهم ونهاهم على ألسنةِ رُسلِه، ومع ذلك أصرّوا على الفِسقِ والخروجِ؛ لكونهم "يُديمون الخروجَ ممّا ينبغي الاستقرارُ فيه منَ الإيمان وما يقتضيه، وأمّا الفِسقُ العارضُ؛ فإنَّ صاحبَه يصدرُ التَّوبةَ منه، فيُعفَى عنه"[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

اللَّمس، والمسّ، والجسّ:

المَسُّ إصابةٌ مُدركَةٌ مقصودةٌ مآلُها إلى التَّأثُّر

اللَّمس: إدراكٌ بظاهر البشرة، فهوَ لصوقٌ بإحساس، وهو أَعمُّ مِمّا هوَ باليَدِ، وقد يُقال لطلب الشَّيْء وإن لم يوجد، والمسُّ: الإصابة، وهو في اللّغة التقاءُ الشَّيئين من غير فصل، أوِ الجمعُ بين الشّيئين على نهاية القُرب، ويُقال فيما مَعَه إدْراكٌ بحاسة اللّمس، فحقيقتُه اللَّمسُ باليد، ونُقِلَ منَ الإحساس إلى المعاني، ليكنَّى بِهِ عَنِ النِّكاح والجُنون، وقد يُقالُ في كلِّ ما ينالُ الإنْسان من أَذًى[2]، فالمسُّ اتّصالُ الشَّيء بالبَشرة بحيث تتأثَّر الحاسّة به، واللَّمسُ كالطلب له ولذلك يقال: ألمسُه فلا أجده[3]، ومن هنا فالمسُّ واللَّمس والجسُّ متقاربة، إلا أنَّ الجَسَّ عامٌّ في المحسوسات، والمسُّ فيما يخفى ويدقُّ، والمسُّ واللّمس بظاهر البَشرة[4]، ويناسبُ معنى الإصابة المدركَةِ المقصودة دلالةُ لفظ المسِّ في الآية بوصفه سبيلَ إيصال العذاب المستحق جزاءً لتكذيبهم بآيات الله سبحانه.

المَسُّ: إذاقتُهم الإيلامَ الشَّديدَ الذي لا يفنِيهم

عبَّرَ بالمَسِّ دونَ اللَّمسِ؛ لأنَّ اللَّمسَ يكونُ باليد خاصَّةً ليُعرف اللّينُ منَ الخُشونةِ والحرارةُ منَ البُرودةِ، والمسُّ يكونُ باليد وبالحَجر وغيرِ ذلك، ولا يقتضي أن يكونَ باليد، ولهذا قال تعالى:

(1) البقاعي، نظم الدرر: 7/121.
(2) الراغب، المفردات: (مسس، ولمس)، وأبو حيان، البحر المحيط: 1/231، والكفوي، الكليات، ص: 799.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 1/90.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: 1/231.

﴿مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ﴾ [البقرة: 214]، وقال: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ﴾ [الأنعام: 17] ولم يقلْ: يلْمسْكَ[1]، ومنه هذا الموضعُ، فهو مسُّ العذابِ، ولا يكونُ باليدِ، واختارَ المسَّ دونَ اللَّمسِ في إصابة العذابِ وإدخالِهم جهنَّمَ بالمسِّ؛ لأنَّ موضعَ الإحساس بالألم هو الجلدُ، فمسُّه بالعذاب هو الإيلامُ الشَّديدُ[2]، وذكرَ البعضُ أنَّه أُشيرَ بالمَسِّ إلى أنَّ العذابَ لا يأخذُهم بحيث يُعدمُهم حتى يتخلَّصوا بالهلاك[3].

(1) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 303، والواحدي، البسيط: 8/151.
(2) أبو زهرة: زهرة التفاسير: 5/2507.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 7/155.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العاشر، سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 10 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-62-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 10 : سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-62-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7560922 بتاريخ 2023/12/18م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»